"الكلمات قد تقتل ايضا" –مشروع رقابة الاعلام

يناير 2005

بتجرد

"عندما يسقط العدو"

تغطية الصحافة الاسرائيلية لموت الرئيس عرفات

هذا هو التقرير الاول الذي الذي اصدره "مركز حماية الديمقراطية في اسرائيل –قيشف"من خلال مشروع رقابة الاعلام-"الكلمات قد تقتل ايضا". يتم تنفيذ هذا المشروع من خلال تعاون مشترك بين مؤسستين احداهما اسرائيلية وهي مركز حماية الديموقراطية في اسرائيل- قيشف و أخرى فلسطينية وهي المبادرة الفلسطينية لتعميم الحوار العالمي و الديمقراطية-مفتاح. وتقوم كلتا المؤسستين بمراقبة التغطية الاعلامية للاحداث من وجهة نظر كل طرف من طرفي النزاع. إن الهدف الأساسي من هذا المشروع هو تغيير أساليب التغطية الاعلامية في اسرائيل و السلطة الوطنية الفلسطينية، و خاصة تلك التي تستخدم عبارات منحازة وتحريضية و فيها تشويه للسمعه وتحريف للحقائق ومصطلحات لاشرعية ولاإنسانية التي يتداولها طرفي النزاع في التغطية الاعلامية.
هذا التقرير يبحث في اسلوب تغطية أحداث مرض وموت الرئيس عرفات في ثلاثة صحف اسرائيلية يومية وهي يديعوت أحرونوت ومعاريف وهآرتس، كذلك يبحث في تغطية تلك الأحداث في الصحافة المرئية من خلال ثلاث محطات تلفزيونية اسرائيلية وهي القناة الأولى والقناة الثانية والقناة العاشرة .
بدأت تغطية الاحداث من اليوم الأول من اعلان مرض الرئيس عرفات أي من الخامس والعشرون من شهر أكتوبر 2004 وحتى التاسع عشر من نوفمبر من نفس العام اي بعد عدة ايام من انتهاء مراسيم دفنه.

فيما يلي النتائج الرئيسية للتقرير:

1) مقدمة : يموت عرفات، و تبقى الفكرة حية .

ركّزت التقارير الصحفية في الاعلام الاسرائيلي وبشكل خاص على تعزيز " الفكرة" السائدة لدى الاسرائيليين، والقائلة ان عرفات وحده هو المسؤول عن الدمار الذي حلّ بالمنطقة وما نتج عنه. إن هذه الفكرة كانت مصدر خلاف في اسرائيل، و تجلى ذلك بوضوح عند نشوب الخلافات الداخلية في جهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلي والتي ظهرت من خلال سلسلة من المقابلات التي نشرتها صحيفة هآرتس على صفحاتها منذ منتصف العام 2004 . وفي هذه المقابلات، انتقد ثلاثة من كبار ضباط الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية السابقين وهم الجنرال عاموس مالكا وعاموس ليفي وماتي شتاينبرغ بشدة تلك "الفكرة" المتبناة من قبل المؤسسة الأمنية والحكومة الاسرائيلية والتي تحمّل عرفات وحده مسؤولية انهيار عملية السلام وتفجّر موجة العنف التي اجتاحت المنطقة.

لقد استمر الإعلام الإسرائيلي في السنوات الأخيرة في تبني و تعزيز هذه" الفكره" دون تعرضه لأي نقد يذكر. ان البحث المتعمق في التغطية الاعلامية الاسرائيلية لأحداث مرض و موت الرئيس عرفات يؤكد أن هذه "الفكرة" تشكل الأساس في صياغة التقرير الصحفي الاسرائيلي المتعلق بعرفات ومن سيخلفه و حتى بالمجتمع الفلسطيني بشكل عام.

2) الرجل ذو الذقن، يرتدي الكوفية ويحمل المسدس: صورة عرفات على سرير الموت.

عملت الصحافة الاسرائيلية بشكل عام على اظهار صورة عرفات على أنه شخص أسطوري وشيطاني , و انه عدو لاسرائيل على قيد الحياة. كذلك فان الأخبار عن احتمال موت عرفات استقبلت بابتهاج واضح عند موته المفاجيء، فاستخدمت كل من صحيفتي يديعوت أحرونوت ومعاريف مصطلحات ذم واستخفاف واتهام وبشكل متكرر بحق الرئيس عرفات ومثال ذلك بعض عبارات مثل " خلاص جيد " و " جاء يومه " و " عرفات انتهى" و " الرجل ذو الذقن " و " الرجل الدموي والشرير" و " الارهابي الكبير" و "موضوع خلاف، حتى عند موته" .

ان توقعات موت عرفات و البهجة المتوقعه نتيجة لهذا الحدث عّبرت عنها صحيفة يديعوت أحرونوت في أخبارها الرئيسية في عدديها الصادرين بتاريخ نوفمبر 8 و 11، حيث قالت الصحيفة ان عهد عرفات قد وصل الى نهايته، وقالت أيضا " كم من الوقت علينا ان ننتظر ؟".
لقد لوحظ ايضا وفي اثناء عرض لمحات تاريخية وقصص تصور حياة الرئيس عرفات أنه تم ابراز تلك العناصر التي تتناغم مع "الفكرة" المراد ايصالها عن عرفات، وفي الوقت نفسه تم التقليل من شأن تلك الصور التي تتعارض مع نفس "الفكرة" المراد ايصالها. وقد قدم الصحافي (ايهود ايعاري) وبطريقة لا تخلو من التهكم والسخرية صورة عرفات على انها صورة شيطانية، و استخدم النكات وحاول الكشف عن نوايا عرفات "الحقيقية"حسب قوله. .ومن جانب آخر، لم ينكر الصحافي (أوديد غرانوت) على القناة الأولى في التلفزيون الاسرائيلي هذه "الفكرة" ولكنه مع ذلك فقد تحدث عن عرفات بأسلوب أكثر عقلانية واشمل حديثه بعبارات تصف جوانب أخرى أكثر عمقا في شخصية عرفات مثل دوره في عملية السلام وتأييده لخيار الدولتين.

3) تصريحات الفلسطينيين: من كان الأكثر علما بحالة الرئيس الصحية

هنالك ظاهرة مشتركة بين جميع الأمثلة الاعلامية المذكورة في هذا التقرير وهي انها تقلل من أهمية مصادر المعلومات الفلسطينية، فاغلب أجهزة الاعلام الاسرائيلية حاولت التمييز في تغطيتها ما بين "المصادر الموثوقة" و " المصادر الفلسطينية" . واستبعد الفلسطينيون في تقاريرهم الاخبارية استخدام كلمات مثل " قال" و/أو " اعلن" بل اعتمدوا على عبارات مثل: "نشر التصريحات " و " حافظوا على روايتهم" و " استمروا في الاصرار" و " نشر المعلومات" و" يؤكدون" و " اعترفوا". وتعاملت التقارير الاخبارية في الصحافة الاسرائيلية مع ممثلة السلطة الفلسطينية بفرنسا " ليلى شهيد" بنوع من الازدراء وقلة الاحترام. ويقدم التقرير كذلك بعض الأمثلة حول كيفية التعامل مع مصادر المعلومات الفلسطينية . فعندما كانت المصادر الفلسطينية تتوقع حالة الرئيس عرفات الصحية كانت هذه التوقعات تقابل بالسخرية والاستهزاء من قبل الصحافة الاسرائيلية بينما كانت نفس التوقعات اذا ما جاءت من المصادر الاسرائيلية تعتبر حقيقة مطلقة غير قابلة للجدل، وذلك بالرغم من نشر نفس التوقعات في الصحيفة نفسها بل وعلى الصفحة ذاتها .

4) المرأة التي بجانبه: سهى عرفات والاعلام

لقد نشط الاعلام الاسرائيلي في تغطية أخبار زوجة الرئيس عرفات وسلوكها بجانب فراش مرضه، فقد امتلأت أعمدة الاشاعات بهذه الاخبار التي امتازت بالاستشراقية والشوفينية. وعملت كل من صحيفة يديعوت أحرونوت والقناة الثانية على ابراز اخبار سهى عرفات ، ففي أخبارها الرئيسية وصفت يديعوت احرونوت سهى عرفات بالمرأة الشيطانية وان طموحها الوحيد هو الحصول على المال، وأنها كانت تحكم الدائرة المحيطة بعرفات بسلطوية مطلقة . ومن العبارات التي أطلقت على سهى عرفات " الطموحة الشقراء" و " المراة الشابة التي تلمع عيناها لرؤية الملايين التي سترثها" وأنها أيضا تخطط " لاذكاء جذوة الانتقام من أبو مازن" مع " ابقاء اصبعها على زر تشغيل القناع الواقي". وفي بعض التقارير التي تروي لمحة تاريخية عن حياتها والتي نشرت على

الصفحات الداخلية لبعض الصحف، هنالك فقط يمكن قراءة صور أخرى عن حياة سهى عرفات ودورها ودوافعها، ومثال ذلك اسباب ابتعادها عن زوجها. ولكن مثل هذه التفاصيل لا تجعل هذه الأخبار صالحة لتكون على الصفحات ألاولى كاخبار رئيسية . لم يفوت مقدمي البرامج الاخبارية على القناة الثانية اية فرصة للتسلية بنكات شوفينية عن سهى، وتركت الباب مفتوحا على مصراعيه لاهانتها والتشكيك بشخصها وبدوافعها. ومن هؤلاء الصحافي (جادي سوكينيك) الذي سمح لنفسه أن يلخص علاقة عرفات بسهى بالكلمات:" ليست علاقه بالمعنى الحقيقي ولكن هذا يستحق العناء".

5) صدمة وارتباك في الشارع الفلسطيني: ما هو رأي الطرف الآخر بعرفات

تعتبر التقارير الاخبارية حول ما يرشح من أخبار الطرف الآخر أحد أهم أدوار الاعلام وخاصة في مناطق الأزمة والنزاع. وعلى الرغم من أن الصحافة الاسرائيلية تحدثت عن مزاج وردود فعل الجانب الفلسطيني، إلا أن معظم وسائل الإعلام الإسرائيلية التي شملها هذا التقرير لم تعتمد في وصفها ردود فعل الفلسطينيين على أية مصادر فلسطينية موثوقة، وكل ما تم عرضه كان سطحيا وعاما. وباستثناء الصحافية (عميره هس) من صحيفة هآرتس والتي تعيش في مدينة رام الله، فان أغلب التقارير كانت تعتمد فقط على محادثة سريعة مع أحد الفلسطينيين المارين في الطريق . لقد أعطت كل وسيلة من وسائل الاعلام الاسرائيلي صورة مختلفة عن الأخرى في وصفها للموقف الفلسطيني اتجاه حالة عرفات الصحية حيث تحدث البعض عن الخوف والحداد والصدمة في الشارع الفلسطيني، بينما تحدّث البعض الآخر عن اللامبالاة وعدم الاهتمام وجميعهم بنفس الدرجة من العمومية والدقة.

6) معارك الخلافة في السلطة الفلسطينية : الخطوة الأولى نحو" فكرة" اومفهوم جديد.

استعرضت الأخبار الرئيسية في الصحف وكذلك مقدمي البرامج الاخبارية بشكل عام" معارك الخلافة" واحتمالية حدوث "انفجار غير متوقع للعنف". وعلى الرغم من أن نفس هؤلاء المراسلين تحدثوا عن توقعات نقل هادىء للسلطات. وهذا ما توقعته أيضا أجهزة الأمن الاسرائيلية من نقل سلس للسلطات وقيام انتخابات منظمة، وتوقعت أيضا أن يتحد الفلسطينيون في اللحظات الصعبة لموت قائدهم . وقبل بدء الجنازة حذرت جميع الصحف من احتمالية حصول موجة من الشغب، فعلى سبيل المثال، وفي تقرير لها قالت صحيفة يديعوت احرونوت: "قد تقوم الحشود الكبيرة بمسيرة تظاهرية نحوالقدس، وسيوضع جيش الدفاع الإسرائيلي في أقصى حالات التأهب " بينما في بعض المقالات وفي العدد نفسه تم استعراض توقعات أجهزة الأمن والتي توقعت بأن الجنازة ستنتهي بهدوء. أما صحيفة هآرتس فقد أكدت حدوث سيناريو مخيف مما يتطلب " أعلى حالات التأهب في جهازي الشرطة وجيش الدفاع الإسرائيلي". وقالت الصحيفة ابضا: " الشرطة قلقة من امكانية حدوث أعمال شغب ضخمة تؤدي الى الهجوم على حائط المعبد . ولم تتحقق أي من التنبؤات التي قيلت في هذا الشأن.

7) "اعادة البنادق لهم": هل فعلا ستبدأ مرحلة جديدة من الاشارات الإسرائيلية؟.

في الوقت الذي عكست فيه الصحافة الإسرائيلية صورة الفلسطينيين في الاخبار الرئيسية في الصحف ونشرات الأخبار بأنهم في حالة من العنف واللامبالاة وتظهرهم في تناحر على خلافة السلطة، تظهر هناك صورة ايجابية للجانب الإسرائيلي. إن ما اتخذته اسرائيل من إجراءات اتجاه الفلسطينيين بعد موت الرئيس عرفات قد تم إبرازها كإشارات إيجابية بالنسبة للفلسطينيين . ومن تلك الخطوات أن سمحت الحكومة الاسرائيلية لعرفات السفر للعلاج في أي مكان في العالم ووافقت أيضا على عودته الى المقاطعة بعد ان كانت تحاصره و تمنع حركته. كذلك أعلنت إسرائيل أنها سوف تسمح لمواطني القدس الشرقية من المشاركة في الانتخابات الفلسطينية . ومن تلك الاشارات أيضا كبح جماح جيش الدفاع الاسرائيلي والتوقف عن العمليات العسكرية أثناء فترة الحداد العام على موت الرئيس، والسماح للشرطة الفلسطينية بحمل السلاح مرة أخرى والمزيد من هذه التسهيلات . وعلى الرغم من أن الإعلام أوضح وبشكل جيد بأن تلك الاشارات او التسهيلات قد تم أعطاءها نتيجة للضغوط الأمريكية على إسرائيل وحتى أن بعض التقارير ذكرت بأن هذه الاشارات أعطيت لعدم توفر بديل أو كمكافأة

للفلسطينيين على سلوكهم الا أن الصحافة حاولت ابراز تلك الاشارات باعتبارها كرم أخلاق وحسن نوايا من الجانب الاسرائيلي .

8) "هل موت الرئيس شيء جيد؟" أبو مازن والاعلام.

لقد شغل موضوع الشخصيات المرشحة لخلافة عرفات وخصوصا أبو مازن مساحة كبيرة في الصحافة الاسرائيلية بطريقة هيأت لاستمرار "الفكرة" القائمة على " عدم وجود شريك فلسطيني" . ان استخدام بعض العبارات الرئيسية في الصحف مثل " شرق أوسط جديد" و "عهد جديد" وعبارة مثل " الآن يوجد شريك" انما أكّدت كل هذه العبارات على مشاعر الابتهاج لبداية عهد جديد حافل بالتوقعات وحدوث تغيرات جوهرية بعد موت عدو اسرائيل الأول. كل هذا كان من شأنه أن يرسخ حقيقة أن عرفات في حياته لم يكن يشكل "شريكا" . أما فيما يتعلق في احتماليات خلافة أبو مازن لعرفات، فقد حاولت الصحافة الاسرائيلية عرض ثلاثة تفسيرات تؤدي جميعها الى النتيجة نفسها وهي أنه لا وجود لشريك فلسطيني. أولى هذه التفسيرات، هي أن أبو مازن خليفة عرفات ولكنه لا يختلف عنه وبالتالي فهو "ليس شريك". أما ثاني هذه التفسيرات فيقول أن أبو مازن يختلف عنه ولكنه أضعف، وبهذا لا يمكن اعتباره" شريكا" نظرا لعدم قدرته على احداث التغيير المطلوب. أما التفسير الثالث فهو أن أبو مازن يختلف عن عرفات وهو على استعداد لقبول مطالب اسرائيل ولكن عندما يثبت عدم صحة هذا التفسير يصبح أبو مازن "غير شريك" بشكل تلقائي. إن التوقعات بحدوث تغيير سريع انما يدل على قصر نظر ولا يدل على حقيقة أن التغيير معقد وصعب، ولا يأخذ كذلك الطرف الآخر من النزاع بعين الاعتبار.

9) النتيجة: نظرة نحو الايام القادمة

بعد مرور أربع سنوات تبنت فيها معظم وسائل الاعلام "الفكرة" او المفهوم القديم، الا اننا استطعنا ان نرى المؤشرات الاولى لمرحلة من التفاؤل ولكنها ايضا تحمل مفهوما جديدا و هو: ان عرفات وحده كان المسؤول عن الوضع و الآن مات عرفات و اسرائيل تمد يدها للسلام، ولكن لا يوجد احد بعد عرفات يمكن التحدث اليه. ان وسائل الاعلام الاسرائيلية وفي اثناء تغطيتها للايام الاخيرة من حياة عرفات لم تفعل اي شيء لكي تقنع الجمهور الاسرائيلي بان مستقبل حل النزاع الاسرائيلي –الفلسطيني يعتمد على طرفي النزاع معا و ليس على الطرف الفلسطيني فقط. ونتيجة لهذه الفكرة فقد اهملت الصحافة الاسرائيلية دور اسرائيل في حل النزاع. ونأمل ان يستطيع هذا التقرير إحداث تغيير في بعض اساليب التغطية الاعلامية الاسرائيلية مما يجعل نظرة الاعلام في اسرائيل اكثر توازنا و مسؤولية و اقل تهجما وعاطفية، و هذا سيعكس صورة كاملة للحقائق كما نعيشها، بتعقيداتها و تناقضاتها. و على الرغم من أن الكلمات قد تقتل الا أنها في الوقت ذاته تستطيع ان تبث روح الامل ايضا.